هَـذا كَـلَامُ (عَـالِـم) وَهَـذا كَـلَامُ (جَـاهِـل)![1]

((الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومَنْ سار على نهجه إلى يوم الدِّين؛ أما بعد:

١ – قال الشيخ سليمان الرحيلي حفظه الله في صوتية بعنوان [الدُّعَاءُ لِلْعُلَمَاءِ وَمَعْرِفَةُ فَضْلِهِمْ هذَا مَنْهجٌ ربَانِيٌّ، وَمَنْهجٌ سَلَفِيٌّ أَصِيلٌ]:

((وَإِذَا أَخْطَأَ الْعَالِمُ الْذِي شُهِدَ لَهُ بِالْعِلْمِ وَالْسُنَّةِ: فَإِنَّهُ لَا يُقَرُّ عَلَى خَطَأِهِ وَلَا يُنْصَرُ عَلَى خطَأِهِ، لَكِنْ يَبْقَى لَهُ فَضْلُهُ مَا دَامَ لَمْ يَخْرُجْ عَنْ حَدِّ الْفَضْلِ وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْ حَدِّ الْسُنَّةِ، بَلْ يُدْعَ لَهُ بِالْمغفِرَةِ وَالرَحْمَةِ.

أَمَّا مَا نَرَاهُ اليَوْمَ مِنْ أَنْ نَرَى عَالِمًا فَاضِلًا يَدْعُو إِلَى السُنَّةِ ويَنْشُرُ السُنَّة وَمَعْرُوفٌ وَشُجَاعٌ، وَقَالَ كَلَاماً قَدْ يَكُونُ أَخْطَأَ فِيهِ وَقَدْ يَكُونُ أَصَابَ، ثُمَّ سِهَامٌ سِهَامٌ سِهَامٌ سِهَامٌ، هَذَا يَدُّلُ عَلَى مَرَضِ القُلُوبِ.

وَاللهَّ ثُمَّ وَاللهَّ مِمَّا تَعَلَمْنَاهُ وَأَرْجُو أَنْ نَكُونَ عَلَيْهِ:

لَوْ أَنَّ شَيْخاً مِنَ الْشُّيُوخِ الْكِبَارِ تَكَلَّمَ فِيَّ بِمَا أَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيءٌ تَمَامَ البُرْءِ مَا رَضيتُ أَنْ أوَجِّهَ لَهُ سَهْمًا واحِدًا، وَلَا أَنْ يُوَّجِهَ لَهُ أَحَدٌ سَهمًا، لَكِنْ مَعَ الْرَّدِ عَنِ الْنَّفْسِ وَبَيَانِ الْحَقِّ، وَالْذَّبِ عَنِ الْنَّفْسِ هَذَا لَا يُعَابُ بِهِ الإِنْسَانُ.

لَكِنَّ تَرَبُّصَ الأَخْطَاءِ لِلعُلَمَاءِ الّذِينَ عُرِفُوا بالْفَضْلِ وَالْسُنّةِ، وَبِمُجرَّدِ أَنْ يَقُولَ قَولًا لَا يُنَاسِبُنَا نَحْنُ نَسْعَى بِإِسْقَاطِهِ، وَنَسْعَى بِجَمْعِ الْكَلَامِ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ

---

(١) هو مقال كتبه أحد الأفاضل، وهو على الرابط التالي: اضغط هنا، جعلت كتابته بين الأقواس التي بالأحمر، وأضفت بعض الهوامش والنقولات التي قد تفيد.

حَتَّى نَنْشُرهُ بَيْنَ النَّاسِ هَذَا غلطٌ، وَلَيْس مَنْهَجاً سَلَفِياً أَبَدًا، وَلَا مَنْهَجاً رَبَانِياً أَبَداً، وَيَدُلُ عَلَى أَنَّ فِي الْقُلُوبِ مَرَضاً.

نَحْنُ بَيْنَ طَرفَيْنِ:

- طَرَفٌ يَرَى أنَّ الْعَالِمَ لَا يُخْطِئ، وَأَنَّهُ يَجِبُ أنْ يُقَلَّدَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وهَذَا بَاطِلٌ مِنَ القَوْلِ وَزُور.

- وَطَرَفٌ يَرَى أنَّ العَالِمَ لَا يُخْطِئ، فَإِذَا أَخْطَأَ وَجبَ أَنْ يَسْقُطَ، مَعَ أَنَّهُ مَا أَتَى بِمُسْقِطٍ.

وَهذَا مِثْلُ الْمُخَالِفِينَ فِي مَسَائِلِ الإِيمَانِ: طَرَفٌ يَرَى أَنَّ الإِيمَانَ وَاحِدٌ لَا يَتَجزَأ فَإِذَا ذَهَبَ بَعْضُهُ ذَهَبَ كلُّهُ، وَطَرَفٌ يَرَى أَنَّ الإِيمَانَ وَاحدٌ لَا يَتَجَزَأ فَإِذَا ثَبَتَ بَعْضُهُ ثبَتَ كُلُّهُ.

العَالِمُ قَدْ يُخْطِئ.

وَقَدْ يَكُونُ عِنْدَ عَالمٍ آخرَ مَا لَمْ يَبْلغْ هَذَا العَالِمَ أَوْ مَا لَمْ يَفْهَمهُ هذَا العَالِمُ، قَدْ يَبْلغُهُ لَكِنْ مَا يَفْهَمُهُ، فَيَقُولُ مَا فِيهِ دَلِيلٌ، لأَنَّهُ مَا فَهِمَ مَا ذَكَرَهُ هَذَا العَالِمُ، هَذَا عَالِمٌ لَهُ فَضْلُهُ، وَهَذَا عَالِمٌ لَهُ فَضْلُهُ، وَالْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ، وَأَنْتَ سَتُسْأَلُ بَيْنَ يَديْ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْحَقِّ.

فالدُّعَاءُ للعُلَمَاءِ وَمَعْرِفَةُ فَضْلِهِمْ هذَا مَنْهجٌ ربَانِيٌ، وَمَنْهجٌ سَلَفِيٌ أَصِيلٌ، وَيَنبَغِي عَلَيْنَا أنْ نُمَرِّنَ أَنْفُسنَا عَلَيْهِ، إلّا مَنْ أَخْرَجَ نَفْسَهُ عَنِ الْفَضْلِ فَعَلَى نَفْسِهَا جَنَتْ بَرَاقِش!)).

رابط الصوتية:

https://f.top4top.io/m_7832os991.mp3

رابط مختصر الجواب:

https://www.youtube.com/watch?v=d-I5r0CrY1c

وغرَّد الشيخ سليمان الرحيلي فقال ٦/ ٤/ ٢٠١٨:

((حتى لا يضيع نور العلم في ظلمة الفتن؛ اعلم أنه لا بد أن يكون الحكم من أهله، ولابد لكل حكم من دليل، ولا بد أن يكون الدليل ثابتا غير ضعيف، وباقيا غير متغير، ولا مرتفع، وأن تكون دلالته على الحكم ظاهرة صحيحة، وأن يسلم الدليل من معارضة مثله أو أقوى منه)).

وقال: ((حتى لا يضيع نور العلم في ظلمة؛ الفتن اعلم أن مما أطبق عليه العلماء: أن نفي العالم للدليل نفي لعلمه بالدليل، ولايلزم منه انتفاء الدليل، فقد يكون هناك أدلة لم تبلغه، وكم من عالم كبير غابت عنه بعض الأدلة وعلمها غيره، فأبو بكر رضي الله عنه غابت عنه بعض الأحاديث التي عرفها من هو أصغر منه)).

وقال: ((حتى لا يضيع نور العلم في ظلمة الفتن: اعلم أنَّ مما أطبق عليه العلماء أنَّ العالم قد يبلغه الدليل من طريق لا يثبت به عنده ويبلغ غيرَه من طريقٍ ثابتٍ عنده، وأنَّ العالم قد يبلغه الدليل لكن لا يفهمه أو لا تتضح له جهة دلالته على المراد بينما يفهمه غيره وتتضح له دلالته، وقد أحسن من انتهى إلى ما علم)).

روابط التغريدات: اضغط هنا، واضغط هنا، واضغط هنا

٢- فقام د. عبد الله البخاري فردَّ على الشيخ سليمان الرحيلي في [لقاء الجمعة] بتاريخ ٢١ رجب ١٤٣٩ فقال:

((وكيف يضيع دقيق العلم هذا؟! يضيع بمثل هؤلاء!، ولعلكم تنظرون في الساحة وتسمعون، العجائب!، والغرائب!، والمنكرات!، والفظائع!، مِن كلِّ من هبَّ ودرج وأقبل وأدبر، ما أقول: وعرف وجهل، بل وجهِل وجهِل!، صاروا يتكلمون في هذا الباب بغير خطام ولا زمام!، حتى في معنى الدليل، وما يتعلق بالجرح المبين أو المفسر، قد يكون الدليل قد بلغه لكنه ما فهم الدليل!، بلغ العالم الدليل ولم يفهم الدليل!، وخذ من أمثال هذا ألواناً من العجائب والجهالات!، كله تبريراً وتمريراً لقول فاسد عاطب، ما قام على أثارة من علم)).

رابط الصوتية:

https://www.youtube.com/watch?v=F6pRAR9oIv0

فردَّ عليه الشيخ سليمان الرحيلي في "تعليق" فقال:

((وهو كلام باطل، مردود على صاحبه، ولولا عفة ألسنتنا لوصفنا قائله بما يستحق كما وصَفَنا)).

رابط الرد:

https://i.top4top.io/p_21401tt8g1.png

وكتب عبدالإله الرفاعي بتاريخ ٧-٨/ ٤/ ٢٠١٨:

((حتى لا يضيع الحق في التعميم لا تكتف بالتقعيد من بعيد وكأنك حويت القضية من كل جوانبها فالعلماء بين ظهرانيك قدم لهم ما تظنه لم يبلغهم أو لم يفهموه هذا إن كنت ناصحاً أما إن أردت التشفي وعدم العدل فلا تحزن إلا على نفسك فمواقفك مع المميعة الحلبية[1] ومن بعدهم معروفة لكل متابع))، رابط التغريدة: اضغط هنا، ونشر التغريدة نزار هاشم: اضغط هنا، وغيره.

وقال عبدالإله: ((أُسقط السلفيون وهو يثني على من أسقطهم ويدافع عنه وهذا من الظلم والحيف بل تأجيج للفتن ولما تذكره بمواقفه المريضة من طوائف يتكلم لك عن المميعة ويحاول تشبيه نفسه بالعلماء ليضع سياجاً حوله وهيهات فقد نُوصح (صاحب المهمة الخاصة) في بعض رؤوس المميعة من بعض الأكابر ومع ذلك بقي على حاله)): اضغط هنا

وقال: ((ليس له موقف[2] من المميعة الحلبية ومن بعدهم حتى بعد اتضاح حالهم للجميع بل المميعة يحتفون به وعندما يدافع العلامة ربيع بن هادي عن طلابه السلفيين يستنكر طرح السؤال على العلامة ربيع! عجباً لأمثال هؤلاء

(١) ذُكر للشيخ عبدالرحمن محيي الدين حفظه الله: بعض الصغار يلمز بالشيخ الفاضل سليمان الرحيلي حفظه الله ويقول عنه بأنه ليس له موقف من المميعة الحلبية؟ فقال: ((سفهاء لا يُلتفت إليهم)): اضغط هنا

(٢) اتهم الصعافقة الشيخ محمد بن هادي بعدم وجود موقف واضح له من محمد الإمام، وكذبوا في ذلك، وكذلك يفعلون مع الشيخ سليمان الرحيلي، وأنه ليس له موقف -واضح أو غير واضح- من المميعة الحلبية ومن بعدهم!، وقد انتشر قول الشيخ سليمان الرحيلي سابقا: ((وفيه من يطعن الآن في الشيخ ربيع! صراحة أو تلميحا، الآن بعض الناس يقول: الشيخ ربيع ليس من علمائنا، وفي من -يعني- يأتي: الغلاة، الغلاة، الغلاة، الغلاة، لإسقاط أمثال الشيخ ربيع حفظه الله، الذي عُرف بالجهاد العظيم في باب السنة))، والشيء بالشيء يُذكر: فقد صرح الشيخ سليمان الرحيلي بموقفه من بعض رؤوس المميعة كالمأربي، وتخطئته للشيخ عبدالمحسن بن حمد العباد في موقفه منه مع إعذاره، ولكن الصعافقة قوم بُهت: اضغط هنا

الذين يريدون مسك العصا من المنتصف فلا للحق نصر بل غمغمة وتخذيل وسيرته شاهدةٌ عليه)): اضغط هنا

فكتب الشيخ سليمان بن سليم الله الرحيلي بتاريخ ٧/ ٤/ ٢٠١٨ تغريدة قال فيها: ((قد يُبتلى الإنسان بمخالف عنده علم فيسهل نقاشه ومجادلته، لكن إذا ابتلي الإنسان بمن لا علم عنده، ولا عقل عنده، ولا عدل عنده؛ فلا يرد بعلم، ولا يحكم بعدل، ولا يحاور بعقل، فلا سبيل إلى الحوار معه، فحقه أن يسكت عنه، وسيفضح نفسه وإن تشبع بما لم يعط "وإذا ابتُليتَ بجاهلٍ متعنِّتٍ فاجعل سكُوتَكَ في النِّقاشِ سبيلا، فالكبرُ حَجَّرَ عقلَهُ وفؤادَهُ وكلامُهُ لايقبلُ التبديلا، إن رُمتَ ترويضَ الوحوشِ فممكنٌ ولَكَم شَهِدنا الطِّفلَ لاعبَ فيلا، فَلَذَاكَ أبسطُ مِن حوارِ مَن ارتدى ثوبَ الحماقةِ فاستحالَ جهولا")): اضغط هنا

وقال: ((السلفي الصادق والمؤمن الذي يخاف الله ويحرص على مصلحة الأمة يدور مع الدليل حيث دار، ويقف مع الحق حيث كان، وليست عنده عصا يمسك بطرفها أو منتصفها، ولا يزن الأمور بذلك، ولا يكون مدحه وذمه مبنيا على ما يحقق أهدافه، ويسعى لاجتماع الكلمة على الحق، ولا خير في قوم يسعون لإسقاط فضلاء أهل السنة في كل مكان)): اضغط هنا

وقال ٨/ ٤/ ٢٠١٨: ((العلماء الربانيون يدورون مع الحق ولا ينحازون إلا له، ومن خالفهم بالدليل فيما يحتمل الخلاف يحبونه ولا يعادونه، يقول الإمام الألباني: "ندور مع الدليل حيث دار، ولا نتعصب للرجال، ولا ننحاز إلا للحق" ويقول الإمام العثيمين: "الرجل إذا خالفك بمقتضى الدليل عنده لا بمقتضى العناد ينبغي أن تزداد محبة له")): اضغط هنا

وقال: ((كنت أسمع أن شرذمة(١) يقررون في مجلسهم المقفل أن (الأكابر) كالمفتي والفوزان وصالح آل الشيخ والعباد والفقيهي لا يرجع إليهم في الفتن والنوازل ولا يؤخذ بتوجيهاتهم فيها بحجة أنه ليس لهم مواقف من (المميعة بأنواعهم) بل يستضيفونهم ويثنون عليهم واليوم قرأت تغريدة لأحدهم تفضح أصلهم وتكشف حالهم)): اضغط هنا

وقال الأخ عبد الله الأحمد: سألتُ شيخنا الشيخ محمد بن هادي حفظه الله عن كلام فضيلة الشيخ سليمان الرحيلي هذا: "أنَّ العالم قد يبلغه الدليل من طريق لا يثبت به عنده ويبلغ غيرَه من طريق ثابت عنده، وأنَّ العالم قد يبلغه الدليل لكن لا يفهمه أو لا تتضح له جهة دلالته على المراد بينما يفهمه غيره وتتضح له دلالته، وقد أحسن من انتهى إلى ما علم"، وأنَّ بعضهم اعترض عليه بهذا الكلام: "يقول: الدليل وصل إلى العالم ولم يفهم، وخذ ألواناً من هذا، وكله تبريراً لقول فاسد"؟!

(١) سئل الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى: الذين ذكرتم حفظكم الله أنهم مزقوا الدعوة السلفية، هل هم في صفوف السلفيين دعاة يرمون كل شخص بالتمييع لمجرد خطأ؟ ونرجو منكم التمثيل؟ فقال: ((لا داعي للتمثيل، لكن هذا موجود وأنتم تعرفونه، هذا أمر موجود ملموس لكم، تعرفونه تمامًا، لا شك أنه موجود، ونسأل الله أن يقضي على هذه الشرذمة، فإنها والله أضرت بالدعوة السلفية كثيرًا، لا هنا فقط بل في الدنيا كلها، فهذا مذهب جديد لا يعرفه أهل السنة، رمي أهل السنة بأنهم مميعون يعني مبتدعة!، مبتدعة! بارك الله فيكم، وتقصُّد أهل السنة بالذات .. هؤلاء ناس مدسوسون على المنهج السلفي وأهله؛ لأن هذا أمر معلوم قطعًا من أساليب أهل الأهواء، أنهم يدسون في صفوف السلفيين، واليهود يدسون في صفوف المسلمين من يضللهم، ولا بد لهؤلاء أن يلبسوا لباس المنهج السلفي، إذا كان الأمر يهم السلفيين، لا بد، تجد كثير من أهل البدع يدعون السلفية، ويدعيها بحماس وقوة، بارك الله فيك، ويدفعك عنها، هؤلاء نَحذر منهم بارك الله فيك. وتجد في المسلمين في الدنيا كلها ناس مدسوسين، مدسوسين وباسم الإسلام، هذا أمر معروف بارك الله فيكم، لكن الأذكياء يعرفون هؤلاء، يعرفونهم من تصرفاتهم، من مواقفهم من أحكامهم..الخ قرائن، قرائن، أدلة، بارك الله فيكم)): اضغط هنا

فأجاب شيخنا بقوله: ((الكلام الأول كلام عالم، والكلام الثاني كلام جاهل!، وفرق بين العالم والجاهل، ولو كلَّف هذا الجاهلُ نفسَه وقرأ كتابَ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" لما قال هذا الكلام)).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في [شرح العقيدة السفارينية]: ((وفُهِم من كلام المؤلِّف رحمه الله أنَّ قول الصحابة حجة، لقوله: "في نهج النبي المصطفى وصحبه"، وهذا أحد احتمالين: أن يكون مراده بذلك أنَّ قول الصحابي حجة، والاحتمال الثاني: أن يكون مراده أنَّ نهج الصحابة الرجوع إلى الكتاب والسنة، فمن كان على نهجهم ورجع إلى الكتاب والسنة فهو على صواب، ولا يلزم على هذا الاحتمال أن يكون قول الصحابي حجة، لأنه -أي الصحابي- قد يرجع إلى الكتاب والسنة ويكون لديه خطأ، خطأ في الفهم، أو خطأ في الدليل لخفاء الدليل عليه أو لخفاء الدلالة)).

كلامه رحمه الله في هذا الرابط:

https://www.alathar.net/home/esound/index.php?op=codevi&coid=127624

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رسالته [رفع الملام] وهو يتكلَّم عن السبب السادس/ عدم معرفته بدلالة الحديث: ((وهذا بابٌ واسعٌ جداً لا يُحيط به إلا الله، وقد يغلط الرجلُ فيفهم من الكلام ما لا تحتمله اللغة العربية التي بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بها)).

ومن المسلَّمات عند أهل العلم والفقه: أنَّ العالم لو قال: هذه المسألة ما فيها دليل، وتبين لغيره أنَّ فيها دليلاً، فالواجب العمل بموجب الدليل ولو نفاه ذلك العالِم، وكذلك لو ادَّعى عالمٌ عدمَ الخلاف في مسألة وتبين لغيره وجود قائل مخالف فيها، فالواجب إثبات الخلاف ونفي دعوى الإجماع.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في [الرد على المنطقيين]: ((وعدم العلم ليس علماً بالعدم، وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود، فهم إذا لم يعلموا ذلك لم يكن هذا علماً منهم بعدم ذلك ولا بعدم علم غيرهم به، بل هم كما قال الله تعالى: "بل كذَّبوا بما لم يُحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله")).

وهذا عرفات المحمدي يقرر أنَّ الخلاف قد يحصل بين الصحابة بسبب خفاء السنة عن بعضهم فلا يعرف هذا الحكم، وكذلك يحصل الخلاف بسبب قد يصله الحديث لكن يفهمه فهماً غير صحيح ... وقد يصل الحديث إلى العالم فيتأوَّله ويفهمه فيُخطئ فيحصل الخلاف، وأحال السائل إلى رسالة "رفع الملام" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

https://www.facebook.com/watch/?v=380177342983713)).

فالعالم:

- قد لا يعلم أو يخفى عليه الدليل.
- وقد لا يفهم الدليل أو لا تتضح له وجه دلالته.
- وقد يدرك المفضول ما لم يدركه الفاضل.
- ولا يُعلق قبول الدليل بقبول أو فهم عالم بعينه –ولو كان إماما في الفن– ويهدر فهم غيره بغير موجب شرعي.

أما عدم العلم وخفاء الدليل:

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى في [العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير]: ((وَخَلْقُ اللهَّ لا يعلمونَ من العلمِ إلا ما علَّمهم العليمُ الخبيرُ الأعظمُ كما دَلَّ عليه هذا القرآنُ في آياتٍ كثيرةٍ، وإيضاحُ ذلك أن أَعْلَمَ المخلوقينَ الملائكةُ والرسلُ -على جميعِهم صلواتُ اللهَّ وسلامُه- فالملائكةُ لَمَّا قال لهم اللهُّ: {فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا} [البقرة: الآيتان ٣١، ٣٢] قولُهم: {لَا عِلْمَ لَنَا} (لا) فيه، هي (لا) التي لنفيِ الجنسِ، فَنَفَوْا جنسَ العلمِ من أصلِه عن أنفسِهم إلا شيئًا عَلَّمَهُمُ اللهُّ إياه {لَا عِلْمَ لَنَا إِلاّ مَا عَلَّمْتَنَا}.

وكذلك الرسلُ (صلواتُ اللهَّ وسلامُه عليهم) مع علمِهم وفضلِهم وجلالتِهم لَا يعلمونَ من أمرِ اللهَّ إلا شيئًا عَلَّمَهُمُ اللهُّ إياه {وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلاً} [الإسراء: آية ٨٥].

هذا سيدُ الرسلِ وأكملُ الخلقِ نَبِيُّنَا محمدٌ (صلواتُ اللهَّ وسلامُه عليه) -وهو هو- رُمِيَتْ أحبُّ أزواجِه إليه بفريةٍ وإفكٍ، حيث رُمِيَتْ بصفوانَ بنِ المعطلِ السلميِّ في غزوةِ المريسيعِ، وهو لا يدرِي ما قيل عنها أَحَقٌّ أو كَذِبٌ، وكان يقولُ لها: «يَا عَائِشَةُ، إِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَتُوبِي، فَإِنَّ اللهَّ يَتُوبُ عَلَيْكِ». ولم يَدْرِ هل ما قيل عنها حَقٌّ أو كَذِبٌ حتى أخبرَه العليمُ الخبيرُ (جلَّ وعلا) قال: {أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [النور: آية ٢٦].

وهذا نَبِيُّ اللهَّ إبراهيمُ إمامُ الأنبياءِ (صلواتُ اللهَّ عليهم جميعًا) ذَبَحَ عِجْلَهُ وتعب هو وامرأتُه في إنضاجِ العجلِ يَظُنُّ أن الملائكةَ يأكلون، لا يدرِي مَنْ هُمْ، حتى إنه لَمَّا رآهم لم يأكلوا خَافَ منهم كما في قولِه: {فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ

نَكِرَهُمْ} [هود: آية ٧٠] وَصَرَّحَ لهم بأنه خائفٌ منهم حيث قال: {فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ} [الحجر: آية ٥٢] حتى ضَحِكَتِ امرأتُه.

وَلَمَّا ارتحلوا عنه ونزلوا بنبيِّ اللهَّ لوطٍ -وهو هو- ضَاقَ بهم ذَرْعًا وقال: {هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ} [هود: آية ٧٧] وَلَمْ يَدْرِ أنهم ملائكةٌ حتى قال كلامَه المحزنَ: {لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ} [هود: آية ٨٠]، وما عَلِمَ أنهم ملائكةٌ حتى قالوا له: {يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ} الآيات [هود: آية ٨١].

وهذا نَبِيُّ اللهَّ نوحٌ -وهو هو- يقولُ لربِّه: {رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} [هود: آية ٤٥] ولا يدري أن ذلك الولدَ الذي يطلبُ رَبَّهُ أن ينجيَه أنه كافرٌ ليس من أهلِه الموعودِ بنجاتِهم حتى قال له العليمُ الخبيرُ: {يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [هود: آية ٤٦] فما قال نوحٌ إلا أن قال: {رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ} [هود: آية ٤٧].

وهذا نَبِيُّ اللهَّ يعقوبُ -وهو هو- قال الله فيه: {وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ} [يوسف: آية ٦٨] ابْيَضَّتْ عيناه من الحزنِ فهو كَظِيمٌ، وولدُه في مصرَ بينَه وبينَه مراحلُ لَا يدرِي ما شَأْنُهُ {اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهَّ} الآيةَ [يوسف: آية ٨٧].

وهذا نَبِيُّ اللهَّ سليمانُ -وهو هو- أعطاه اللهُّ الرياحَ غُدُوُّهَا شهرٌ ورواحُها شهرٌ، وَسَخَّرَ له مردةَ الشياطينِ والجنِّ، ما كان يدرِي عن مأرب وجماعةِ بلقيس [مَعَ مَا لَدَيْهِ مِنْ إِمْكَانِيَّاتِ الْكَشْفِ وَالتَّحْقِيقِ مِنَ الرِّيحِ، وَالطَّيْرِ، وَالْجِنِّ] حتى ذَهَبَ إليهم الضعيفُ المسكينُ الهدهدُ، وَلَمَّا تَوَعَّدَ الهدهدَ، وكان الهدهدُ حَصَّل

منهم بعضَ عِلْمِ الجغرافيا والتاريخِ، وهذا العلمُ لم يكن عِنْدَ سليمانَ في ذلك الوقتِ، وكان سليمانُ يُهدِّدُ الهدهدَ ويقولُ: {لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ} [النمل: آية ٢١] فجاء الهدهدُ لمَّا عرف بعضَ عِلْمِ جغرافيةِ اليمنِ وتاريخِها، وسليمانُ لا يدري عنه، أفادَه هذا العلمُ قوةً وَوَقَفَ أمامَ سليمانَ وقفَة الرجلِ الصامدِ، وَنَسَبَ الإحاطةَ لنفسِه ونفاها عن سليمانَ وقال: {أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا} الآياتِ [النمل: الآيات ٢٢ - ٢٤]. فسليمانُ ما كان يدري عن هذا، ولم يَقُلْ له إلا أن قال: {سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨)} وأمثالُ هذا كثيرٌ.

فَاللهُ (جلَّ وعلا) هو العليمُ الأعظمُ، والملائكةُ والرسلُ (صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم) يعلمونَ من عِلْمِ اللهِ ما عَلَّمَهُمُ اللهُ من غيبِه وما لم يعلمهم لم يعلموه، وهو (جلَّ وعلا) وحدَه هو المحيطُ علمُه بكلِّ شيءٍ، العالِمُ بما كان وما يكون، وبالمعدومِ والموجودِ، والمعدومِ الذي لا يوجدُ أن لو وُجِدَ كيف يكونُ {قُل لَاّ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَاّ اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النمل: آية ٦٥])).

وفي قوله تعالى: {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} [النمل: آية ٢٢].

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى [تفسير القرآن الكريم]: ((الفائدة الثانية: أن سليمان وإن كان قد أُعطي ملكا عظيما لم يُعطه أحد

فإنه لا يحيط بكل شيء، فهو على سعة ملكه وقوته لا يحيط بكل شيء، فغيره من باب أولى!)).

فـ((أَلْهَم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتى من فضل النبوّة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة، ابتلاء له في علمه، وتنبيها على أنّ في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما بما لم يحط به، لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه، ويكون لطفا له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم بها فتنة، والإحاطة بالشيء علما: أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم. قالوا: وفيه دليل على بطلان قول الرافضة إنّ الإمام لا يخفى عليه شيء، ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه)).

وقال العلامة الآلوسي [روح المعاني]: ((وفِي قَوْلِهِ تَعالى: (أحَطْتُ) إلَخْ ... دَلِيلٌ بِإشارَةِ النَّصِّ والإدْماجِ عَلى بُطْلانِ قَوْلِ الرّافِضَةِ أنَّ الإمامَ يَنْبَغِي أنْ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الجُزْئِيّاتِ، ولا يَخْفى أنَّهم إنْ عَنَوْا بِذَلِكَ أنَّهُ يَجِبُ أنْ يَكُونَ الإمامُ عالِمًا عَلى التَّفْصِيلِ بِأحْكامِ جَمِيعِ الحَوادِثِ الجُزْئِيَّةِ الَّتِي يُمْكِنُ وُقُوعُها، وأنْ يَكُونَ مُسْتَحْضِرًا الجَوابَ الصَّحِيحَ عَنْ كُلِّ ما يُسْألُ عَنْهُ، فَبُطْلانُ كَلامِهِمْ في غايَةِ الظُّهُورِ)).

وأما عدم فهم الدليل أو الاختلاف فيه أو عدم اتضاح وجه دلالته:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية [المجموع (٣٥/ ٧٥)]: ((وَقَدْ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ دَاوُد وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إنَّمَا حَكَمَا فِي الْحَرْثِ، وَخَصَّ أَحَدَهُمَا بِالْعِلْمِ وَالْحُكْمِ، مَعَ ثَنَائِهِ عَلَى كُلٍّ مِنْهُمَا بِالْعِلْمِ وَالْحُكْمِ. وَالْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا فَهِمَ

أَحَدُهُمْ مِنْ الْمَسْأَلَةِ مَا لَمْ يَفْهَمْهُ الْآخَرُ لَمْ يَكُنْ بِذَلِك مَلُومًا وَلَا مَانِعًا لِمَا عُرِفَ مِنْ عِلْمِهِ وَدِينِهِ)).

وروى الإمام البخاري (٤٣٣٩) رحمه الله تعالى: بَعَثَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ إلى بَنِي جَذِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إلى الإسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أنْ يقولوا: أسْلَمْنَا، فَجَعَلُوا يقولونَ: صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ منهمْ ويَأْسِرُ، ودَفَعَ إلى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أسِيرَهُ، حتَّى إذَا كانَ يَوْمٌ أمَرَ خَالِدٌ أنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أسِيرَهُ، فَقُلتُ: واللَّهِ لا أقْتُلُ أسِيرِي، ولَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِن أصْحَابِي أسِيرَهُ، حتَّى قَدِمْنَا علَى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَذَكَرْنَاهُ، فَرَفَعَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَدَهُ فَقالَ: "اللَّهُمَّ إنِّي أبْرَأُ إلَيْكَ ممَّا صَنَعَ خَالِدٌ"، مَرَّتَيْنِ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في [فتح الباري]: ((قوله: "فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا"، هذا من ابن عمر راوي الحديث يدل على أنه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقة. ويؤيده فهمه أن قريشا كانوا يقولون لكل من أسلم صبأ حتى اشتهرت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقام الذم. ومن ثم لما أسلم ثمامة بن أثال وقدم مكة معتمرا قالوا له: صبأت؟ قال: لا بل أسلمت. فلما اشتهرت هذه اللفظة بينهم في موضع أسلمت استعملها هؤلاء، وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها لأن قولهم صبأنا أي خرجنا من دين إلى دين، ولم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا بالإسلام. وقال الخطابي: يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام لأنه فهم عنهم أن ذلك وقع منهم على سبيل الأنفة ولم ينقادوا إلى الدين فقتلهم متأولا قولهم)).

وقال ابن بطال رحمه الله تعالى في [شرح صحيح البخاري (٥/ ٣٥٢)]: ((قال المهلب: ولم يفهم خالد من قوله: "صبأنا" أنهم يريدون به أسلمنا، ولكن

حمل اللفظة على ظاهرها، وتأولها أنها في معنى الكفر؛ فلذلك قتلهم، ثم تبين أنهم أرادوا بها أسلمنا، فجهلوا، فقالوا: صبأنا.

وإنما قالوا ذلك؛ لأن قريشًا كانت تقول لمن أسلم مع النبي: صبأ فلان، حتى صارت هذه اللفظة معروفة عند الكفار، وعادة جارية، فقالها هؤلاء القوم، فتأولها خالد على وجهها، فعذره النبي بتأويله، ولم يُقِدْ منه)).

وقال الخطابي رحمه الله تعالى في [أعلام الحديث (٣/ ١٧٦٤)]: ((إنما نقِم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد موضع العَجَلة، وترك التثبت في أمرهم، إلى أن يتبين المراد من قولهم: صبأنا، لأن الصبأ معناه الخروج من دين، يُقال: صبأ الرجل فهو صابئٌ، إذا خرج من دين كان فيه إلى دين آخر، ولذلك كان المشركون يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الصابئ، وذلك لمخالفته دين قومه.

وقولهم: صبأنا، كلام يحتمل أن يكون معناه خرجنا من ديننا إلى دين آخر غير الإسلام، من يهودية أو غيرهما من الأديان والنِّحَل.

فلما لم يكن هذا القول صريحا في الانتقال إلى دين الإسلام نفَّذ خالد الأمر الأول في قتالهم، إذ لم يوجد شريطة حقن الدم بصريح الاسم.

وقد يحتمل أن يكون خالدٌ إنما لم يكفَّ عن قتالهم بهذا القول، من قِبَل أنه ظن أنهم عدلوا عن اسم الإسلام إليه، أنفة من الاستسلام والانقياد، فلم ير ذلك القول منهم إقرارا بالدين.

وقد روي أن ثمامة بن أثال لما أسلم ودخل مكة معتمرا قال له كفار قريش: صبأت. فقال: لا، ولكن أسلمت)).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في [منهاج السنة النبوية (٤/ ٤٨٧)]: ((وَمَعَ هَذَا فَالنَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمْ يَعْزِلْ خَالِدًا عَنِ

الْإِمَارَةِ، بَلْ مَا زَالَ يُؤَمِّرُهُ وَيُقَدِّمُهُ؛ لِأَنَّ الْأَمِيرَ إِذَا جَرَى مِنْهُ خَطَأٌ أَوْ ذَنْبٌ، أُمِرَ بِالرُّجُوعِ عَنْ ذَلِكَ، وَأُقِرَّ عَلَى وِلَايَتِهِ، وَلَمْ يَكُنْ خَالِدٌ مُعَانِدًا لِلنَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، بَلْ كَانَ مُطِيعًا لَهُ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْفِقْهِ وَالدِّينِ بِمَنْزِلَةِ غَيْرِهِ، فَخَفِيَ عَلَيْهِ حُكْمُ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ)).

وفِعل خالد رضي الله عنه لا يُقدح به في النبي صلى الله عليه وسلم، قال العلامة عبداللطيف آل الشيخ رحمه الله تعالى [مصباح الظلام]: ((فخطأ التابع فيما يختص به لا يقدح في متبوعه، وكم أخطأ مخطئ من هذه الأمة وغيرها من أتباع المشايخ والأئمة، بل وأتباع الرسل، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد" لما بلغه ما فعل ببني جذيمة)).

ففي قصة خالد رضي الله عنه فوائد كثيرة منها أن خالد بن الوليد رضي الله عنه فهم من قول القوم (صبأنا) غير ما فهمه ابن عمر رضي الله عنه، فابن عمر رضي الله عنه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقة فكف عنهم ولم يتابع خالد رضي الله عنه في قتله إياهم وقد كان قائدا لهم!، وأما خالد رضي الله عنه ففهم غير ذلك أو شك في قولهم ففعل ذلك رضي الله عنه، وهذا يدلنا على أن العالم قد يفهم بعض الكلام على غير وجهه -وهو معذور- ويبني عليه حكما خاطئا، بل حكما شديدا، ولا يجوز الأخذ بحكمه ومتابعته في ذلك، ويُخطأ وتحفظ كرامته، وكذلك قد لا يحصل منه التثبت المطلوب، فيقع الخطأ، وليس هذا من الطعن في العالم كما يدندن الصعافقة وأمثالهم.

وفي كتاب التوحيد لابن خزيمة رحمه الله تعالى نجد مثالا حول الاختلاف في مسألة الرؤية بين أبرِّ هذه الأمة قلوبا، وأنه قد يحصل ذلك بسبب اختلاف العلم بالدليل أو بسبب اختلاف الفهم للآيات بين من يرى أن الآية تفيد عدم

الرؤية أو تنفيها، وبين من يرى عدم لزوم ذلك، وهذا اختلاف في فهم بعض آيات كتاب الله عز وجل، وممن هم خير هذه الأمة رضي الله عنهم، فكيف بكلام غير الله عز وجل، وممن هو دونهم!

قال الإمام ابن خزيمة رحمه الله تعالى في [التوحيد]: ((قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: ثَلَاثٌ مَنْ قَالَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا} [لقمان: ٣٤]، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا كَتَمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ تَعَالَى يَقُولُ: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكِ} [المائدة: ٦٧] الْآيَةَ وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: ١٠٣] وَاللهُ يَقُولُ: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الشورى: ٥١] فَقَالَ مَسْرُوقٌ لِعَائِشَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، أَو لَمْ يَقُلْ: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى} [النجم: ١٣] وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ} [التكوير: ٢٣] فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَا سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ، نَزَلَ فِي الْأُفُقِ، عَلَى خَلْقِهِ وَهَيْئَتِهِ، أَوْ خَلْقِهِ وَصُورَتِهِ سَادًّا مَا بَيْنَ الْأُفُقِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَذِهِ لَفْظَةٌ، أَحْسِبُ عَائِشَةَ تَكَلَّمَتْ بِهَا فِي وَقْتِ غَضَبٍ، كَانَتْ لَفْظَةٌ أَحْسَنَ مِنْهَا يَكُونُ فِيهَا دَرَكًا لِبُغْيَتِهَا، كَانَ أَجْمَلَ بِهَا، لَيْسَ يَحْسُنُ فِي اللَّفْظِ: أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: أَوْ قَائِلَةٌ، فَقَدْ أَعْظَمَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْفِرْيَةَ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَجَمَاعَاتٌ مِنَ النَّاسِ الْفِرْيَةَ عَلَى رَبِّهِمْ، وَلَكِنْ قَدْ يَتَكَلَّمُ الْمَرْءُ عِنْدَ الْغَضَبِ بِاللَّفْظَةِ الَّتِي يَكُونُ غَيْرُهَا أَحْسَنَ وَأَجْمَلَ مِنْهَا، أَكْثَرُ مَا فِي هَذَا أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَبَا ذَرٍّ، وَابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

قَدِ اخْتَلَفُوا: هَلْ رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَمْ يَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ، وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: قَدْ رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ، وَقَدْ أَعْلَمْتُ فِي مَوَاضِعَ فِي كُتُبِنَا أَنَّ النَّفْيَ لَا يُوجِبُ عِلْمًا، وَالْإِثْبَاتُ هُوَ الَّذِي يُوجِبُ الْعِلْمَ، لَمْ تَحْكِ عَائِشَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ خَبَّرَهَا أَنَّهُ لَمْ يَرَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنَّمَا تَلَتْ قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام: ١٠٣] وَقَوْلُهُ: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا} [الشورى: ٥١] وَمَنْ تَدَبَّرَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ وَوُفِّقَ لِإِدْرَاكِ الصَّوَابِ، عَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الْآيَتَيْنِ مَا يَسْتَحِقُّ مَنْ قَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ الرَّمْيَ بِالْفِرْيَةِ عَلَى اللهِ، كَيْفَ بِأَنْ يَقُولَ: قَدْ أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ عَلَى اللهِ؟ لِأَنَّ قَوْلَهُ: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام: ١٠٣] قَدْ يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ: عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يُثْبِتُ رُؤْيَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِقَهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَدْ يَحْتَمِلُ بِأَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلِهِ: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام: ١٠٣] عَلَى مَا قَالَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ لِمَوْلَاهُ عِكْرِمَةَ «ذَاكَ نُورُهُ الَّذِي هُوَ نَوَّرَهُ، إِذَا تَجَلَّى بِنُورِهِ لَا يُدْرِكُهُ شَيْءٌ» ، وَالْمَعْنَى الثَّانِي، أَيْ: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ} [الأنعام: ١٠٣] أَبْصَارُ النَّاسِ؛ لِأَنَّ الْأَعَمَّ وَالْأَظْهَرَ مِنْ لُغَةِ الْعَرَبِ أَنَّ الْإِبْصَارَ إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى أَبْصَارِ جَمَاعَةٍ، لَا أَحْسِبُ عَرَبِيًا يَجِيءُ مِنْ طَرِيقِ اللُّغَةِ أَنْ يَقُولَ لِبَصَرِ امْرِئٍ وَاحِدٍ أَبْصَارٌ، وَإِنَّمَا يُقَالُ لِبَصَرِ امْرِئٍ وَاحِدٍ بَصَرٌ، وَلَا سَمِعْنَا عَرَبِيًا يَقُولُ: لِعَيْنِ امْرِئٍ وَاحِدٍ بَصَرَيْنِ، فَكَيْفَ أَبْصَارٌ وَلَوْ قُلْنَا: إِنَّ الْأَبْصَارَ تَرَى رَبَّنَا فِي الدُّنْيَا لَكِنَّا قَدْ قُلْنَا الْبَاطِلَ وَالْبُهْتَانَ فَأَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَأَى رَبَّهُ دُونَ سَائِرِ الْخَلْقِ، فَلَمْ يَقُلْ: إِنَّ الْأَبْصَارَ قَدْ رَأَتْ رَبَّهَا فِي الدُّنْيَا، فَكَيْفَ يَكُونُ يَا ذَوِي الْحِجَا مَنْ يُثْبِتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَأَى رَبَّهُ، دُونَ سَائِرِ الْخَلْقِ مُثْبِتًا أَنَّ الْأَبْصَارَ قَدْ رَأَتْ رَبَّهَا، فَتَفَهَّمُوا يَا ذَوِي الْحِجَا هَذِهِ النُّكْتَةَ تَعْلَمُوا أَنَّ ابْنَ

عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَأَبَا ذَرٍّ، وَأَنَسَ بْنَ مَالِكٍ وَمَنْ وَافَقَهُمْ لَمْ يُعْظِمُوا الْفِرْيَةَ عَلَى اللهِ، وَلَا خَالَفُوا حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَأَمَّا ذِكْرُهَا: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الشورى: ٥١]، فَلَمْ يَقُلْ أَبُو ذَرٍّ، وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ وَلَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَلَا أَحَدٌ مِمَّنْ يُثْبِتُ رُؤْيَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِقَهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ اللهَ كَلَّمَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ يَرَى رَبَّهُ فِيهِ، فَيَلْزَمُ أَنْ يُقَالَ: قَدْ خَالَفَتْهُمْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَأَى رَبَّهُ، لَمْ يُخَالِفْ قَوْلَهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الشورى: ٥١] وَإِنَّمَا يَكُونُ مُخَالِفًا لِهَذِهِ الْآيَةِ مَنْ يَقُولُ: رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ فَكَلَّمَهُ اللهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، وَابْنُ عُمَرَ مَعَ جَلَالَتِهِ وَعِلْمِهِ وَوَرَعِهِ وَفِقْهِهِ وَمَوْضِعِهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَالْعِلْمِ يَلْتَمِسُ عِلْمَ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ مِنْ تُرْجُمَانِ الْقُرْآنِ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرْسِلُ إِلَيْهِ لِيَسْأَلَهُ، هَلْ رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ؟ عِلْمًا مِنْهُ بِمَعْرِفَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ يُقْتَبَسُ هَذَا مِنْهُ فَقَدْ ثَبَتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ إِثْبَاتُهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَأَى رَبَّهُ، وَبِيَقِينٍ يَعْلَمُ كُلُّ عَالِمٍ أَنَّ هَذَا مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي لَا يُدْرَكُ بِالْعُقُولِ، وَالْآرَاءِ وَالْجِنَانِ وَالظُّنُونِ، وَلَا يُدْرَكُ مِثْلُ هَذَا الْعِلْمِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ النُّبُوَّةِ، إِمَّا بِكِتَابٍ أَوْ بِقَوْلِ نَبِيٍّ مُصْطَفًى، وَلَا أَظُنُّ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَتَوَهَّمُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: «رَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَبَّهُ» بِرَأْيٍ وَظَنٍّ، لَا وَلَا أَبُو ذَرٍّ، لَا وَلَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، نَقُولُ كَمَا قَالَ مَعْمَرُ بْنُ رَاشِدٍ لَمَّا ذُكِرَ اخْتِلَافُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ: مَا عَائِشَةُ عِنْدَنَا أَعْلَمُ مِنَ ابْنِ عَبَّاسٍ، نَقُولُ: عَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ بِنْتُ الصِّدِّيقِ، حَبِيبَةُ حَبِيبِ اللهِ عَالِمَةٌ فَقِيهَةٌ، كَذَلِكَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُ أَنْ

يُرْزَقَ الْحِكْمَةَ، وَالْعِلْمَ، وَهَذَا الْمَعْنِيُّ مِنَ الدُّعَاءِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِتُرْجُمَانِ الْقُرْآنِ، وَمَنْ كَانَ الْفَارُوقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَسْأَلُهُ عَنْ بَعْضِ مَعَانِي الْقُرْآنِ، فَيَقْبَلُ مِنْهُ، وَإِنْ خَالَفَهُ غَيْرُهُ، مِمَّنْ هُوَ أَكْبَرُ سِنًّا مِنْهُ، وَأَقْدَمُ صُحْبَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا اخْتَلَفَا فَمُحَالٌ أَنْ يُقَالَ قَدْ أَعْظَمَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْفِرْيَةَ عَلَى اللهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَثْبَتَ شَيْئًا نَفَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَالْعُلَمَاءُ لَا يُطْلِقُونَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ وَإِنْ غَلَطَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي مَعْنَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ أَوْ خَالَفَ سُنَّةً أَوْ سُنَنًا مِنْ سُنَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ تَبْلُغِ الْمَرْءَ تِلْكَ السُّنَنُ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: أَعْظَمَ الْفِرْيَةَ عَلَى اللهِ مَنْ يُثْبِتُ شَيْئًا لَمْ يَنْفِهِ كِتَابٌ وَلَا سُنَّةٌ فَتَفَهَّمُوا هَذَا لَا تُغَالِطُوا، ذِكْرُ حِكَايَةِ مَعْمَرٍ: سَمِعْتُ عَمِّي يَحْكِيهِ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ فِي خَبَرٍ لَيْسَ إِسْنَادُهُ مِنْ شَرْطِنَا، حَدَّثَنِي عَمِّي، قَالَ: ثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ مُجَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: اجْتَمَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَكَعْبٌ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّا بَنُو هَاشِمٍ، نَزْعُمُ أَوْ نَقُولُ: «إِنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ»، قَالَ: فَكَبَّرَ كَعْبٌ حَتَّى جَاوَبَتْهُ الْجِبَالُ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ قَسَمَ رُؤْيَتَهُ وَكَلَامَهُ بَيْنَ مُحَمَّدٍ، وَمُوسَى، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ فَرَآهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَلْبِهِ، وَكَلَّمَهُ مُوسَى. قَالَ مُجَالِدٌ: قَالَ الشَّعْبِيُّ: فَأَخْبَرَنِي مَسْرُوقٌ أَنَّهُ قَالَ لِعَائِشَةَ: أَيْ أُمَّتَاهُ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ رَبَّهُ قَطُّ؟ قَالَتْ: إِنَّكَ تَقُولُ قَوْلًا، إِنَّهُ لَيَقِفُ مِنْهُ شَعْرِي، قَالَ: قُلْتُ: رُوَيْدًا، قَالَ: فَقَرَأْتُ عَلَيْهَا: {وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَى} [النجم: ١]، إِلَى قَوْلِهِ: {قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} [النجم: ٩] فَقَالَتْ: أَيْنَ يُذْهَبُ بِكَ؟ إِنَّمَا رَأَى جِبْرِيلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُورَتِهِ، مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ الْخَمْسَ مِنَ الْغَيْبِ فَقَدْ كَذَبَ، {إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ} [لقمان: ٣٤] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: فَذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ لِمَعْمَرٍ، فَقَالَ: «مَا عَائِشَةُ عِنْدَنَا بِأَعْلَمَ مِنَ ابْنِ عَبَّاسٍ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: لَوْ كُنْتُ مِمَّنْ

أَسْتَحِلُّ الاِحْتِجَاجَ بِخِلَافِ أَصْلِيٍّ، وَاحْتَجَجْتُ بِمِثْلِ مُجَالِدٍ، لَاحْتَجَجْتُ أَنَّ بَنِي هَاشِمٍ قَاطِبَةً، قَدْ خَالَفُوا عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَأَنَّهُمْ جَمِيعًا كَانُوا يُثْبِتُونَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَأَى رَبَّهُ مَرَّتَيْنِ، فَاتِّفَاقُ بَنِي هَاشِمٍ عِنْدَ مَنْ يُجِيزُ الاِحْتِجَاجَ بِمِثْلِ مُجَالِدٍ أَوْلَى مِنَ انْفِرَادِ عَائِشَةَ بِقَوْلٍ لَمْ يُتَابِعْهَا صَحَابِيٌّ يَعْلَمُ، وَلَا امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا مِنَ التَّابِعَاتِ، وَقَدْ كُنْتُ قَدِيمًا أَقُولُ: لَوْ أَنَّ عَائِشَةَ حَكَتْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا كَانَتْ تَعْتَقِدُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَرَ رَبَّهُ جَلَّ وَعَلَا وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَهَا ذَلِكَ، وَذَكَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَأَبُو ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ، لَعَلِمَ كُلُّ عَالِمٍ يَفْهَمُ هَذِهِ الصِّنَاعَةَ أَنَّ الْوَاجِبَ مِنْ طَرِيقِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ قَبُولُ قَوْلِ مَنْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ رَأَى رَبَّهُ، إِذْ غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ تَكُونَ عَائِشَةُ سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَمْ أَرَ رَبِّي قَبْلَ أَنْ يَرَى رَبَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ تَسْمَعُ غَيْرَهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُ أَنَّهُ قَدْ رَأَى رَبَّهُ، بَعْدَ رُؤْيَتِهِ رَبَّهُ، فَيَكُونُ الْوَاجِبُ مِنْ طَرِيقِ الْعِلْمِ قَبُولُ خَبَرِ مَنْ أَخْبَرَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ)).

وقال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى [نور على الدرب]:

(({لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} فإن هذه الآية تدل على أن الله تعالى يُرى بالأبصار، ودليل ذلك أنه نفى الإدراك، وهذا يدل على وجود أصل الرؤية، ولو كان أصل الرؤية غير ثابت ما صح أن ينفي الإدراك، ولا يصح أن يُستدل بهذه الآية على امتناع رؤية الله عز وجل؛ لأن الآية إنما نفت ما هو أخص من الرؤية وهو الإدراك، ونفي الأخص يستلزم وجود الأعم وهو الرؤية، والله عز وجل يُرى يوم القيامة، ولكن الأبصار لا تدركه، هذا بالنسبة لما جاء في القرآن)).

وقال [التعليق على صحيح مسلم (٦/ ٤٣٣)]: ((الإنسان مهما بلغ من العلم فإنه لن يكون معصوماً، قد يخطئ في الفهم، وقد لا يكون عنده علم من الشيء، وقد يُحال بينه وبين الصواب، ولهذا كان من دعاء النبي عليه الصلاة والسلام: "أنتَ تحكمُ بينَ عبادِكَ فيما كانوا فيهِ يختلِفون، اهدني لما اختُلفَ فيهِ منَ الحقِّ بإذنِك، إنَّكَ تَهدي من تشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ")).

وقال العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى [نور على الدرب]: ((فأسباب الاختلاف هو بلوغ الدليل وعدمه، واختلاف الفهم أيضاً، فيفهم الإنسان من النص ما لا يفهمه الآخر من العلماء، وكل من اجتهد وتحرى الحق فهو على خيرٍ عظيم، إذا كان من أهل العلم إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، إذا تحرى الحق، وإذا تحرى الحق وهو من أهل العلم والبصيرة، فهو بين أجرين وأجر، إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر. فأسباب الاختلاف هو اختلاف الفهم، ثم الاختلاف في اتباع الأدلة، وبلوغ الأدلة، هذا قد يبلغه شيء، والآخر قد يبلغه شيء، فيختلفوا في الحكم عندها بسبب ذلك)).

وقال العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى [المجموع (٢/ ١٠٨-١٠٩)]: ((طبعا للأئمة خلافات لبعض الأحاديث الصحيحة، لكن ليس ذلك منهم تعمدا، ومن ظن أن عالما من أئمة الإسلام المعتبرين عند الأمة ولهم قدم الصدق في الإسلام أو اعتقد فيهم أنهم يتعمدون مخالفة سنة الرسول –عليه الصلاة والسلام–؛ فهذا قد أساء إلى الإسلام وإلى المسلمين! لا يجوز أن يظن بهم هذا، ولهذا ألف شيخ الإسلام رحمه الله في هذه القضية كتابا سماه (رفع الملام عن أئمة الإسلام) وجاء فيه بأعذار للأئمة في الأحاديث التي خالفوها؛ فمما اعتذر لهم به أنه: إما أنها لم تبلغهم، أو أنها بلغتهم من طريق ضعيف، أو لم يُدرك دلالتها

على الحكم الذي خالفه أو شيئا من هذا، وجاء بحوالي عشرة أعذار لهم، وهذا كله انطلاقا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد)؛ هذا في المجتهد المخلص الصادق، وأما المتبع لهواه فهذا إنما يتبع هواه. لهذا يجب أن نفرق بين أئمة السنة المشهود لهم بالسنة والإمامة في الدين وبين أهل الأهواء؛ أهل الأهواء يتعمدون مخالفة الكتاب والسنة! والأئمة الأعلام الراسخون في العلم المجتهدون بحق؛ هؤلاء لا يخالفون ولا يتعمدون مخالفة نصوص الكتاب والسنة -رحمهم الله تعالى-)).

وقال العلامة محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى [صوتية منشورة]:

(("ولولا من يقيمه الله جل وعلا" يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "لبيان خطأ العلماء إذا أخطأوا، لكان العالم في قومه كالنبي في أمته" هذا من رحمة الله بالعالم، أن يهيئ الله له من يرد عليه خطأه إذا أخطأ، حتى لا يضل الناس، وهذا من حفظ الله لدينه سبحانه وتعالى، فإنه لم يكله إلى شخص بعينه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما الله قد تكفل به، {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}، فقل لهؤلاء المقلدة؛ لا يجوز لكم بعد اليوم أن تستدلوا علينا بقول، أقول لكم قال رسول الله، قال أبوبكر وعمر، لأنكم أنتم الآن تتركون الأدلة وتذهبون إلى غيرها، والذي يوجب على الناس تقليده هذا ليس بعالم، ليس بعالم، لأن العلماء كلهم يحرمون ذلك، ولا يدعون إليه بل ينكرون ذلك، هذا أبو حنيفة يقول: (لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم دليلنا، فإننا نقول اليوم القول ونرجع عنه غدا)، وهكذا الإمام مالك -رحمهم الله جميعا- يقول: (ما منا إلا راد ومردود عليه، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا صاحب هذا القبر)، ما منا إلا راد ومردود عليه، بعض الناس لا يريد أن ترد عليه، ويستدل وقِد دوخك بهذا

الكلام (ما منا إلا راد ومردود عليه)، لكن إذا جاء وقت الصدق ورددت عليه الخطأ، ما رديت عليه ولا تهجمت عليه، ولا تكلمت فيه ولا جهلته، أبدا، أهل العلم لا يفعلون ذلك، بل يجلون العلماء، يردون الخطأ، ويحترمون العالم، بل أعظم من ذلك، نحن نقول بما قاله مشايخ الإسلام الأئمة الأعلام، هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كم رد على من سبقه ومن عاصره رحمه الله، ومع ذلك يؤلف كتابه العظيم (رفع الملام عن الأئمة الأعلام)، وبدأ بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأنهم قد خفيت على بعضهم الدلائل، بل بدأ بأبي بكر رضي الله عنه، خيرة الخلق بعد النبي صلى الله عليه وسلم، خفيت عليه أحاديث، وقام بعض صغار الصحابة فأخبروه بها، وهكذا عمر وهو المحدث الملهم، خفيت عليه أحاديث وقام صغار الصحابة فحدثوه بها، وهكذا عثمان، وهكذا علي رضي الله عنهم جميعا وأرضاهم، فإذا كان هذا في كبار الأمة وفضلاء الأمة وخيار الأمة الخلفاء الراشدين، فكيف بالعلماء، فما من عالم إلا وتعزب عنه سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما من عالم إلا ويغيب عنه حديث من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما من عالم إلا ويقول القول بناء على أنه لم يصح عنده هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما من عالم إلا ويبلغه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن أحيانا لا يوفق لفهمه الفهم الصحيح، فهذه كلها أعذار لأهل العلم، فنحن إذا رددنا على العالم أو بعض العلماء، نرد عليهم مع احترامنا لهم، بل واعتذارنا لهم، رحم الله من مات، ووفق من بقي وحفظ من بقي وختم لنا وله بخير، ولكن أهل الجهل والهوى والتهوك لا يفهمون ذلك، بل يفهمونه ولكنهم لا يريدون أن ينشرونه بين الناس ولا يعلمونهم به، فيقلبون لك ظهر المجن ويقول هذا يطعن في العالم، حتى قال

القائل: "ردك لجرح العالم جرح فيه"، هذا والله من أعجب العجب، هذا والله من أعجب العجب، هذا والله من أعجب العجب عشنا حتى سمعنا مثل هذا، الله أكبر! كم من عالم رُد قوله ولم يعتبر ذلك طعنا فيه، هذا شيخنا الشيخ ابن باز فقط أضرب لكم الأمثلة في هذا الوقت، كم من المشايخ ردوا عليه بعض فتاواه، فتواه في جماعة التبليغ، ردوها عليه، فهل كان هؤلاء طاعنين فيه؟! معاذ الله! وهكذا لما جاءت حرب الكويت، كانت كلماته اللطيفة قبل أن يعرف حقائق هؤلاء، كنا نقول الشيخ عالم، وإمام هذا الزمان رحمة الله عليه، ولكن الله لم يجز لنا أن ندع ما علمناه من العلم ووقفنا عليه نحن من العلم بأنفسنا، أن ندعه بعدما قامت عندنا دلائله، وأن نقلده في ذلك، فما قال لنا رحمه الله ورضي عنه: "أنتم تطعنون في العالم"، وكم من الناس أيضا كانوا حوله، يحسنون له هؤلاء أهل الباطل، ولما تبين له الأمر وزالوا عنه أو جاءه بعض الناصحين، انكشفت له الأمور رحمه الله تعالى فقال بكلمة الحق التي لم تكن من قبل بينة له دلائلها، فلما استبانت له دلائلها قال بمقاله رحمه الله تعالى المعروف في هؤلاء، فلما زالت هذه العوائق التي حوله ومنها البطانة التي كانت تحسن في بعض الأحيان له حال هؤلاء أو تعتذر لهم أو تلتمس لهم[1]، قال فيهم بعد ذلك كلمته، وكان بعض مشايخنا يقول الشيخ ابن باز عنده

---

(١) قال الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى: ((ومعروف مكر أهل البدع ومنهم جماعة التبليغ فقد جندوا من يخدمهم عند الشيخ ابن باز ممن يلبس لباس السلفية فيطنب في مدحهم ويسهل لجماعاتهم ووفودهم الدخول على الشيخ ابن باز فتتظاهر هذه الجماعات والوفود من مشارق الأرض ومغاربها بالسلفية فيصورون له أعمالهم في صورة أعمال سلفية عظيمة، ويبالغون فيها وينفخون فيها بكل ما أوتوا من خيالات كاذبة، كل ذلك باسم الإسلام فيذكرون أعداداً عظيمة من الكفار قد أسلموا على أيديهم، وفساق تابوا على أيديهم و. .و. . و . .بصفة دائمة، والسلفيون لا يتكلمون فيهم عند الشيخ إلا لماما، ولا عتب على الشيخ إذا تعاطف معهم بعض تعاطف بسبب ما قدموه له على الوجه الذي شرحناه فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنما أنا بشر إنه يأتيني الخصم، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض، فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار فليأخذها أو فليتركها) وفي لفظ (فاقضي له على نحو مما أسمع) [متفق عليه]. فإذا كان هذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بغيره؟! فإذا كان الشيخ ابن باز قد قضى

بطانة سيئة، والشيخ الألباني عنده بطانة سيئة، والشيخ ابن عثيمين عنده بطانة سيئة، ووالله ما قلنا يوما من الأيام إنك تطعن في الشيخ ابن باز، ولا تطعن في الشيخ ابن عثيمين، بل كنا نرى هذا منه من النصيحة، وكمال النصيحة، وصدق النصيحة لأمة الإسلام، فما بال هؤلاء الصعافقة اليوم يقلبون ظهر المجن ويقولون هذا، فأصبح الذي يعرفونه بالأمس منكرا اليوم، وأصبح المنكر الذي بالأمس معروفا اليوم، فهذا والله هو الفتنة، {إن هي إلا فتنتك} كما قال الله جل وعلا، {تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء} نسأل الله العافية والسلامة، فاحذروا رحمكم الله من تعظيم الرجال، واعلموا أن العبد لا ينجيه مع الله إلا صدق النية وإخلاصها، وصدق المقال والفعال، هذا هو الذي ينجي بين يدي الله جل وعلا، فإن الله سبحانه وتعالى لن يسألنا يوم القيامة إلا عن أمرين اثنين: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟، هذان السؤالان ليعد كل واحد منا لهما جوابا، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم، وإنما أردت التنبيه بهذا الكلام لأنه من أعظم الفتن الآن، ومن أعظم أسباب الفتن القائمة الآن على الساحة، تعظيم الرجال وترك الحق لأجل بعض الرجال، هذا لا يجوز، فمن استبان له الدليل، يجب عليه أن يتبع الدليل، ومن لم يستبن له الدليل هو معذور عندنا، والله ثم والله ثم والله معذور، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن ينور قلبه وأن يبصره وأن يسوق له من الدلائل ما ساقها لنا، في مثل هؤلاء الذين أحدثوا الفتنة في هذه الأيام في العالم كله، وقد كشف الله سبحانه وتعالى عنهم، كذبا وجهلا، وهوى، ولؤم، اجتمع فيهم الكذب والجهل، والهوى واللؤم، فأما الكذب فهذا أنتم ترون في هذه

في جماعة التبليغ على نحو مما يسمع وصدق من زكاهم بناء على ظاهر حالهم فيعذر، ولكن من خالطهم وعرف حقيقتهم عن كثب أو درس مؤلفات شيوخهم فعرف ما فيها من ضلالاتهم لا يجوز له السكوت عنهم بل عليه أن يحذر منهم كما حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل البدع وحذر منهم السلف الصالح)).

الأدوات وسائل التواصل، الذي بالأمس شهور ودهور وهو يكذب ويكذب ثم يرجع بعد ذلك ويعترف أنه قال، فدل ذلك على صدقنا ولا لا؟ دل ذلك بإذن الله على صدق مقالنا، فشهد على نفسه، مرات، وهكذا الجهل ظهر منهم، وقد كان بعض إخواننا يقول: هل عندهم أخطاء في العقيدة؟ فظهرت أخطائهم في العقيدة، في الصفات؟ فظهرت أخطائهم في الصفات، في الفقه؟ ظهرت أخطائهم في الفقه، في الصحابة؟ ظهرت أخطائهم في الصحابة، وقد أبصر ذلك العالم كله مشرقا ومغربا بهذه الأدوات، فكيف يُقال بعد ذلك هات الدلائل؟! هذا والله العجب! هذا والله العجب!، الدلائل قد أبصرها حتى العجائز، ورأوها في هذه الوسائل، ظهرت الدلائل، وبعد هذا كله يقال هات الدلائل؟! هذا والله من العجب العجاب! فنسأل الله العافية والسلامة، أسأل الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يرزقنا وإياكم الفقه في دينه، والثبات على الحق والهدى حتى نلقاه، ونحن أولى بالمشايخ من هؤلاء، ووالله إننا لنحن أحب للمشايخ من هؤلاء، وأنصح للمشايخ من هؤلاء، ويوم أن كنا نحن جلساؤهم ما كان هذا الأمر يحدث، فلما تخلف هؤلاء الصعافقة، أحدثوا هذه الفتن، فنعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، واتقوا الله سبحانه وتعالى في أنفسكم وأهليكم وإخوانكم ودعوتكم وعلمكم جميعا، ولا تقولوا إلا بالحق، فإن الحق هو المعظم، فمن قام بالحق ولم ينظر إلى الخلق رفعه الله سبحانه وتعالى وإن حاول وضعه بعض الخلق، ومن عظم الخلق وترك الحق أهانه الله جل وعلا، اليوم بين الخلق وغدا يوم يقوم الناس للحق، أسأل الله جلا وعلا باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، والبصيرة في الدين، والثبات على الحق والهدى حتى نلقاه، كما أسأله سبحانه أن

ينور بصائرنا، وبصائر مشايخنا جميعا، وإخواننا، وطلابنا، وأبنائنا، وعموم المسلمين، وأن يقينا وإياهم جميعا مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن)).

وأما أن المفضول قد يدرك ما لم يدركه الفاضل:

قال تعالى: {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍۢ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍۢ يَقِينٍ}.

قال العلامة القرطبي رحمه الله تعالى [الجامع لأحكام القرآن]: ((وَفِي الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الصَّغِيرَ يَقُولُ لِلْكَبِيرِ وَالْمُتَعَلِّمَ لِلْعَالِمِ عِنْدِي مَا لَيْسَ عِنْدَكَ إِذَا تَحَقَّقَ ذَلِكَ وَتَيَقَّنَهُ. هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مَعَ جَلَالَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعِلْمِهِ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ بِالِاسْتِئْذَانِ. وَكَانَ عِلْمُ التَّيَمُّمِ عِنْدَ عَمَّارٍ وَغَيْرِهِ، وَغَابَ عَنْ عُمَرَ وَابْنِ مَسْعُودٍ حَتَّى قَالَا: لَا يَتَيَمَّمُ الْجُنُبُ. وَكَانَ حُكْمُ الْإِذْنِ فِي أَنْ تَنْفِرَ الْحَائِضُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَلَمْ يَعْلَمْهُ عُمَرُ وَلَا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ. وَكَانَ غَسْلُ رَأْسِ الْمُحْرِمِ مَعْلُومًا عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَخَفِيَ عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ. وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ فَلَا يُطَوَّلُ بِهِ)).

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى [مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة]: ((سُلَيْمَان لما توعد الهدهد بِأَن يعذبه عذَابا شَدِيدا أَوْ يذبحه إِنَّمَا نجا مِنْهُ بِالْعلمِ، وأقدم عَلَيْهِ فِي خطابه لَهُ بقوله أحطت بِمَا لم تحط بِهِ خَبرا، وَهَذَا الْخطاب إِنَّمَا جرأه عَلَيْهِ الْعلم، وَإِلَّا فالهدهد مَعَ ضعفه لَا يتَمَكَّن من خطابه لِسُلَيْمَان مَعَ قوته بِمثل هَذَا الْخطاب لَوْلَا سُلْطَان الْعلم، وَمن هَذَا الْحِكَايَة الْمَشْهُورَة أن بعض أهل الْعلم سُئِلَ عَن مسألة فَقَالَ: لَا أعلمها، فَقَالَ أحدُ تلامذته: أنا أعْلَم هَذِه الْمَسْأَلَة!، فَغَضب الأستاذ وهم بِهِ فَقَالَ لَهُ: أيها الأستاذ:

لست أعْلَم من سُلَيْمَان بن دَاوُد وَلَو بلغت فِي الْعلم مَا بلغت، وَلست أنا أجهل من الهدهد!، وَقد قَالَ لِسُلَيْمَان: (أحطت بِمَا لم تحط بِهِ) فَلم يعتب عَلَيْهِ وَلم يعنفه)).

فـ((الوقائع الخاصة قد تخفى على الأكابر ويعلمها من هو دونهم، وفي ذلك رد على المقلد إذا استُدل عليه بخبر يخالفه فيجيب: لو كان صحيحا لعلمه فلان!))، ((وقول الجاهل: لو كان هذا حقا ما خفي على فلان وفلان، هذه دعوى الكفار، في قولهم: {لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ}، {أَهَؤُلاءِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا}؛ وقد قال علي رضي الله عنه: "اعرف الحق تعرف أهله". وأما الذي في حيرة ولبس، فكل شبهة تروج عليه؛ فلو كان أكثر الناس اليوم على الحق، لم يكن الإسلام غريبا، وهو والله اليوم في غاية الغربة!)).

وفي الحديث عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ مِن الشَّجرِ شجرةً لا يسقُطُ ورقُها، وإنَّها مَثَلُ المسلمِ، فحدِّثوني ما هي؟)) فوقَع النّاسُ في شجرِ البوادي، قال عبدُ الله: ووقَع في نفسي أنَّها النَّخلةُ، فاستحيَيْتُ. ثمَّ قالوا: حدِّثْنا ما هي يا رسولَ الله؟ قال: ((هي النَّخلةُ)) فذكَرْتُ ذلك لعمرَ فقال: لَأنْ تكونَ قُلْتَ هي النَّخلةُ أحبُّ إليَّ مِن كذا وكذا!

قال الحافظ رحمه الله تعالى في [الفتح]: ((وفيه أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه من هو دونه، لأن العلم مواهب، والله يؤتي فضله من يشاء)).

وقال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى [صوتية منشورة]: ((قال ابن عمر: "فلما خرجت مع أبي قلت يا أبت وقع في نفسي النخلة" بعد ما انفض المجلس أفضى عبد الله بن عمر بما كان ألقي في نفسه أنها النخلة، هنا أصاب أباه شيء من الحزن والأسى وال ... ذلك ما يُعبر عنه قول عمر: "ما منعك أن تقولها، لو كنت قلتها كان أحبّ إليّ من كذا وكذا" يعني مما الناس يحبّونه

من المال والجاه و وإلخ لأنه يظهر والحالة هذه أن ابن عمر الصغير السن يظهر أمام الصحابة بأنه كبير العقل، لو أنه صرّح بأنها النخلة ولكن قد أكّد بن عمر السبب الذي منعه من أن يتحدّث بهذه النعمة التي أنعم الله بها عليه حيث فهم كلام الرسول عليه السلام الذي لم يفهمه الصحابة بعد فقال متأدبا ومعتذرا في آن واحد لأبيه "ما منعني إلا لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما فكرهت" لما شفتك أنت وأبو بكر الصديق سكت وما حكيته لأنه بيسكت ما بدي أحكي من باب أولى.

هذا الحديث كله ترجم به المصنف لهذا الباب، "باب إذا لم يتكلم الكبير هل للأصغر أن يتكلم؟" هكذا فقه البخاري بيترجم عن الحديث بباب يتساءل فيه هل له أن يتكلم؟ ما بيعطيك الجواب لأنه يريد من طالب العلم أن يأخذ الجواب هو بنفسه من دراسته وتفقهه في الحديث الذي أورده تحت الباب، فالآن ماذا نفهم من هذا التساؤل هل للصغير أن يتكلم إذا لم يتكلم الكبير وقد أورد المصنّف تحت هذا الباب هذا الحديث الصحيح؟ قد يتبادر لأذهان بعض الناس القارئين لهذا الحديث أن الجواب لا، لأنه ابن عمر ما تكلم لكن الصحيح أن الجواب له أن يتكلم ذلك)).

وقد قال العلامة عبدالعزيز ابن باز رحمه الله تعالى [نور على الدرب]: ((الواجب أن يُنصح ويبين له أغلاطه من أهل العلم حتى ولو من الطلبة بالأسلوب الحسن، بالكلام الطيب، فالمؤمن لا يحقر نفسه عن بيان العلم، كان النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أصحابه فقال: حدثوني عن شجرة لا يسقط ورقها هي مثل المؤمن، قال ابن عمر: فوقع الناس في شجر البوادي، ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت؛ لأنه كان أصغر القوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنها النخلة، قال عبد الله: فقلت لأبي عمر: إنه وقع في نفسي أنها النخلة

فاستحييت، فقال عمر: «لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا» فأرشده عمر رضي الله عنه إلى أنه يقول العلم، يتبين يتكلم يتقدم بالعلم ولو كان صغيرًا.

وكان عمر رضي الله عنه يدني ابن عباس مع الكبار في المشورة لما أظهر له من علمه، كان يدنيه معهم ويستشيره معهم لما أعطاه الله من العلم والفقه في الدين.

فالطالب إذا عرف من أستاذه غلطًا فلا مانع بل يجب أن ينبهه بالأسلوب الحسن، بالسؤال: ما حكم كذا؟ ما الدليل على كذا أيها الأستاذ؟ يا أبا فلان، يا شيخنا، يأتي بالعبارات المناسبة أو يطلب من العلماء الآخرين أن يرشدوا هذا العالم لعله يقبل منهم..)).

وبيان ما خفي على العالم من النصيحة لأئمة المسلمين الذين ورد ذكرهم في حديث (الدين النصيحة)، وأئمة المسلمين في الحديث هم الأمراء والعلماء كما قرر العلامة ابن عثيمين رحمه الله، وقال في نصيحة العلماء: ((أنك إذا رأيت منهم خطأ فلا تسكت وتقول: هذا أعلم مني، بل تناقش بأدب واحترام، لأنه أحيانا يخفى على الإنسان الحكم فينبهه من هو دونه في العلم فينتبه وهذا من النصيحة للعلماء)).

وقال العلامة عبيد الجابري حفظه الله تعالى [إمداد المسلم (١/ ١٩١)]: ((وفيه: أن العالم الكبير قد يخفى عليه بعض ما يدركه من هو دونه، لأن العلم مواهب، والله يؤتي فضله من يشاء.

وفيه: إذا علم الصغير ما يجهل الكبير؛ فإنه ينبغي لمن كان عنده علم أن يذكره وينزع به وإن كان صغيرا، ولا يعد ذلك منه سوء أدب، ولا تنقصا لحق

الكبير في التقدم عليه، وعلى ذلك دل قول عمر رضي الله عنه لابنه: "لأن تكون قلت هي النخلة أحب إلي من كذا وكذا")).

وأما عدم تعليق قبول الدليل بقبول أو فهم عالم بعينه -ولو كان إماما في الفن- وهدر فهم غيره بغير موجب شرعي:

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى [بدائع الفوائد]: ((فإن قلتَ: هذا خلاف مذهب سيبويه. قلتُ: فكان ماذا؟! فهل يرتضي محصّلٌ برد موجب الدليل الصحيح لكونه خلاف قول عالم معين؟! هذه طريقة الخفافيش!؛ فأما أهل البصائر فإنهم لا يردون الدليل وموجبه بقول معين أبدا وقليلٌ ما هم!، ولا ريب أن أبا بشر رحمه الله ضرب في هذا العلم بالقدح المعلى، وأحرز من قصبات سبقه، واستولى من أمده على ما لم يستول عليه غيره، فهو المصلى في هذا المضمار، ولكن لا يوجب ذلك أن يُعتقد أنه أحاط بجميع كلام العرب وإنه لا حق إلا ما قاله!)).

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى [أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقران]: ((وَأَمَّا مَا لَيْسَ مِنَ التَّقْلِيدِ بِجَائِزٍ بِلَا خِلَافٍ، فَهُوَ تَقْلِيدُ الْمُجْتَهِدِ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ الْحُكْمُ بِاجْتِهَادِهِ، مُجْتَهِدًا آخَرَ يَرَى خِلَافَ مَا ظَهَرَ لَهُ هُوَ؛ لِلْإِجْمَاعِ عَلَى أَنَّ الْمُجْتَهِدَ إِذَا ظَهَرَ لَهُ الْحُكْمُ بِاجْتِهَادِهِ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقَلِّدَ غَيْرَهُ الْمُخَالِفَ لِرَأْيِهِ. وَأَمَّا نَوْعُ التَّقْلِيدِ الَّذِي خَالَفَ فِيهِ الْمُتَأَخِّرُونَ الصَّحَابَةَ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْخَيْرِ، فَهُوَ تَقْلِيدُ رَجُلٍ وَاحِدٍ مُعَيَّنٍ دُونَ غَيْرِهِ، مِنْ جَمِيعِ الْعُلَمَاءِ. فَإِنَّ هَذَا النَّوْعَ مِنَ التَّقْلِيدِ، لَمْ يَرِدْ بِهِ نَصٌّ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، وَلَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَا أَحَدٌ مِنَ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْخَيْرِ. وَهُوَ مُخَالِفٌ لِأَقْوَالِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، فَلَمْ يَقِلْ أَحَدٌ

مِنْهُمْ بِالْجُمُودِ عَلَى قَوْلِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مُعَيَّنٍ دُونَ غَيْرِهِ، مِنْ جَمِيعِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ. فَتَقْلِيدُ الْعَالِمِ الْمُعَيَّنِ مِنْ بِدَعِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ، وَمَنْ يَدَّعِي خِلَافَ ذَلِكَ، فَلْيُعَيِّنْ لَنَا رَجُلًا وَاحِدًا مِنَ الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ الْأُوَلِ، الْتَزَمَ مَذْهَبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مُعَيَّنٍ، وَلَنْ يَسْتَطِيعَ ذَلِكَ أَبَدًا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَقَعِ الْبَتَّةَ)).

وقال العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله تعالى [صوتية منشورة]: ((وطالب العلم ينظر في الأدلة، ولا يهمه كون المؤلف فلان أو فلان، فإن الحق لا يُعرف بالرجال، إنما الرجال يُعرفون بالحق، فمتى ظهر الحق في كلام أحد وجب قبوله، ومتى ظهر الخطأ في كلام أحد وجب رده، وإن كان كبيرا، إن كان المؤلف كبيرا كابن القيم أو شيخ الإسلام ابن تيمية، أو من هو أكبر منهما، فالمدار على الأدلة الشرعية، فمتى ظهر في الأدلة صحة القول وجب الأخذ به وما لا فلا، ولا يجوز لطالب العلم أن يقبل الحق لأنه قاله فلان، ويرده لأنه رده فلان، لا؛ ليس هذا من شأن أهل العلم، بل الحق يُقبل بأدلة، ويرد الباطل بالأدلة)).

وقال العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى: ((ومن البلاء الآن في هذه الفتن حتى عند بعض السلفيين يتمسكون بقال فلان وقال فلان، ولو كان من يخالفهم معه الدليل والبرهان، وهذا من سلوك طرق أهل الضلال، والمنهج السلفي لا يعترف بهذه الطرق مهما بلغ الإنسان من منزلة، أفتى فتوى أو قال قولاً ليس له دليل فلا يجوز قبول كلامه، نحترمه ونعتذر له وما شاكل ذلك، لكن كلٌّ يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن معه الحجة من الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم لا يجوز رد قوله!)).

وقال: ((فقد يقع العالم في الأخطاء والمخالفات الكثيرة للكتاب والسنة، فضلا عن الأخطاء اللغوية والإملائية، وقد يبحث عن حديث أو ترجمة رجل من

مظانه من المصادر فلا يقف عليه فيعتذر، وقد يكون إماما في فن من الفنون فتوجد له كبوات في فنه، فهذا سيبويه إمام في اللغة قد استدرك عليه ابن تيمية ثمانين خطأً، وكم من فقيه له أخطاؤه؟ وكم من محدث ومفسر لهم أخطاؤهم الكثيرة. وكل هذه الأخطاء لا تضر أصحابها ولا تحط من مكانتهم إذ لا يحط من مكانة الرجل إلا ارتكاب الكبائر أو اقتحام البدع وعداء أهل السنة، هذا هو منهج أهل السنة والجماعة)).

وقال العلامة محمد بن هادي المدخلي حفظه الله تعالى [صوتية منشورة]: ((فلا يجوز لأحد أن يقدم على قول الله وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم قول أحد من الناس، وليعلم في هذا الباب أمرين عظيمين، ويحققهما فإن هو حققهما قد فاز وأفلح وإن هو فرّط فيهما أو في واحد منهما فقد خاب وخسر. الأول: أن الله جلّ وعلا إنما افترض علينا طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم. الثاني: أن الحق هو ما قامت الأدلة من الكتاب والسنّة عليه صريحة وصحيحة وإذا كان كذلك فلا يجوز لك أن تعدل عنه، ولتعلم أن الرجال يعرفون بالحق، لا الحق بالرجال. قال الشافعي رحمه الله: أجمع الناس على أنّ من استبانت له سنّة الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس، فنحن نعلم أن العلماء إنما هم واسطة وأدلة يدلوننا على شرع الله تبارك و تعالى فيما عجزنا عن فهمه، فنستعين بآرائهم وأقوالهم وشروحاتهم للأحاديث والآيات القرآنية، نستعين بها على فهم كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أصاب الحق فذلك من فضل الله عليه قبلنا قوله ومن أخطأ الحق وكان من أهل الفضل والصدق والاتباع فهو لا يخلو إن شاء الله من أجر الاجتهاد ونرد عليه قوله الذي أخطأ فيه لأننا على هذه القاعدة نعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال، فكل

واحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال الإمام مالك، إمام دار الهجرة رضي الله عنه، فإذا نحن سلكنا هذا المسلك ووطنّا أنفسنا عليه وثبتناها على هذا السبيل فلنبشر بالخير، نعلم أنّ الرجال يُطلب الحجة لأقوالهم لا أنّ أقوالهم تكون حجة على الله ورسوله وفي شرعه لا، الرجال يطلب لهم الحجة، يطلب لهم الدليل على ما يقولون، فمن جاء بالدليل واضحا على مقاله صريحا صحيحا قُبل ومن لا فلا. فالعلماء كما قلت هم واسطة ومع هذا يحتج لهم ولا يحتج بهم إنما الحجة في كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلابد أن يتقرر هذا في قلوبنا جميعا، إذا قلنا أنّ العلماء يُحتج لهم، يعني إذا قالوا قولا فحصناه ونظرنا فيه، هل الأدلة الصحيحة الصريحة عليه فلا يجوز رد هذا القول، ويجب أخذه، أو أنّ الأدلة عليه إما أن تكون ضعيفة أو صحيحة لكنها غير صريحة في الموضوع فيُحتاج فيها إلى الإجتهاد بدلائل أخرى وقرائن أخرى حتى يتضح أن هذا القول هو المراد. واضح هذا هو، ولنعلم أنّ من خالف الأدلة الصحيحة الصريحة التي لا ناسخ لها ولا معارض فإن قوله مردود، وإذا كان له هو عذر فعذره يشفع له عند الله تبارك وتعالى ويؤجر أجر الاجتهاد، ولكن لا يجوز تقليده على هذا ومن اتبعه على ذلك أنكرنا عليه، فإن استمر أغلظنا في الإنكار عليه، من خالف النصوص الصريحة الصحيحة التي لا ناسخ لها ولا معارض هذا ينكر عليه غاية الإنكار وإنما الإجتهاد في المسائل التي تخفى مآخذها من الأدلة، يعني الأدلة قد تكون صحيحة لكنها ليست صريحة في هذا الباب فيحتاج الإنسان فيها إلى نظر وإلى تأمل وإلى اجتهاد، واضح. فهذا الواجب علينا جميعا أن نعلم أنّ العلماء هم مبلّغون لشرع الله إلى الناس لأنهم ورثة الأنبياء ولكن في الوقت نفسه نعلم أنّ قولهم إنما يُحتج له ولا يُحتج به، وإنما الحجة في كلام الله ورسوله صلوات

الله وسلامه عليه، هكذا كان سلفنا الصالح رضي الله تعالى عنهم على هذا النهج ساروا وبهذا الطريق تفقهوا فعظموا النصوص من كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدورهم، فوزنوا الرجال بذلك، فمن أخطأ ردوا قوله عليه كائنا من كان ومن وفق للحق فإنهم يقبلون قوله ولو كان أصغر سنا أو أقل علما ممن رُد قوله، فإذا الميزان الصحيح هو إيش؟ معرفة الرجال بالحق، لا معرفة الحق بالرجال فأنتم في هذا الباب، في باب طلب العلم تتفقهون على هذا المنوال والدليل ما ستجدونه أمامكم إذا ما دخلتم في الفقه فإنكم واجدون بإذن الله هذا الأمر في مسائل الفقه كثير، وفي الحديث، شروح الحديث كثير بإذن الله تجدونه فتجد القول الراجح هنا قول الشافعي وقول أحمد وقول مالك وقول أبي حنيفة مثلا مرجوح وهكذا القول الراجح هنا قول أحمد وقول الشافعي وقول مالك وقول أبي حنيفة مرجوح وهكذا، الراجح هنا قول مالك والآخرين قولهم مرجوح، الراجح هنا قول أبي حنيفة والآخرين قولهم مرجوح، بسبب ماذا؟ بسبب الأدلة، بسبب الأدلة، فيا عجبا لمن يرجح بين أقوال الأئمة هؤلاء الفحول وإذا جاء إلى علماء العصر توقف، فهو جريئ على أن يرد على الأوائل من الأئمة، وإذا جاء إلى علماء العصر صار أحط درجة من المقلدين، ما هو فقط مقلد بل أحط درجة من المقلدين، أصبح مثل البهيمة يقاد، لا تدري أين يذهب بها بل أعجب من هذا ما نراه من بعض الناس يكون ذكيا ويكون مناظرا ومجادلا في مثل هذه المسائل، فإذا جاء إلى ما يهوى من مشايخ عصره أو وقته رمى هذا خلف ظهره وترك اتباع الأدلة وأصبح من أحط الناس درجة في باب التقليد. فأنا أحثكم معشر الأبناء على أن تنهجوا هذا النهج يقول الإمام أحمد رحمه الله: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يتركون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان، رأي مالك

والأوزاعي والثوري كله رأي وهو عندي سواء إنما الحجة في الآثار. (دين النبي محمد آثار نعم المطية للفتى الأخبار، لا تخدّعن عن الحديث وأهله فالرأي ليل والحديث نهار، ولربما جهل الفتى طرق الهدى والشمس طالعة لها أنوار) يكون أعمى، مثل الأعمى إذا كانت الشمس طالعة وهو لا يراها فهو مثل الأعمى تماما، وإذا كان مبصرا فهو مثل الخفاش. مثل النهار إذا طلع ازداد في الناس نوره وتزداد الناس به نورا ويعمى الخفافيش مثل النهار يقول الشاعر: (يزيد أبصار الورى نورا ويُعمي أعين الخفاش) تعرفون الخفاش؟ الذي يطير بالليل إذا طلع النهار عمي فهذا مثله مثل الخفاش، إذا قامت الأدلة واتضحت الأدلة فعاد أخس درجة من المقلدين، وأحط، فهو مثل الخفاش، الذي إذا طلعت الشمس الناس يزدادون نورا وهو يعمى. فأوصيكم معشر الأبناء بتعظيم كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبكم وأن لا تقدموا على قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم قول أحد من الناس كائنا من كان، كما أوصيكم أيضا بالجد والإجتهاد في هذا الباب والحرص على حفظ الأوقات وصرفها في النافع)).

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.